العُدوان الثلاثي على مصر

تحت حذاء هتلر:

لا أملك أن أحدثك في غير ما أحدث به نفسي وما تحدث به نفسك وما يتحدث به العالم من ائتمار دولتي الاستعمار على كل ما شرع الله ووضع الإنسان من مبادئ الخلق وقواعد السلوك وقوانين السياسة وأقيسة المنطق وأحكام العرف، وادعائهما مع ذلك أنهما دولتان من الدول (العظمى) تقيدهما القيود الإنسانية، وتربطهما المواثيق الديمقراطية.

والحق والواقع يجادلانها بلسان أربع وستين دولة من دول التمدن الحديث في الجمعية العامة للأمم المتحدة في هذه الادعاء الكاذب بأن الدولة التي تعتدي بالقوة على الحق، وتهاجم السلام بأوزار الحرب، وتفجع أمة باسلة كريمة في أمنها وفي وطنها لأن لها استقلالاً تحميه، وحقًا لا تفرط فيه، ووطنًا لا تنزل عن جزء منه، وتقف من الضمير العالمي موقف الكافر الفاجر لا تخضع لحكم القانون، ولا تسلم برأي الكثرة، ولا تعبأ بحقوق الإنسان، هذه الدولة التي لا تزال تعيش في الغاب، وتحتكم للظفر والناب، حرية بأن تسمى مَنْسرًا من مناسر اللصوص، أو عصابة من عصابات القتلة !.

كيف تسمي عصابتي بريطانيا وفرنسا دولتين عظيمتين وهما طفيليتان تعيشان على دماء الشعوب كما تعيش القمل والبق والبعوض، حتى إذا تأوه الملسوع من ألم اللسع، أو تضرر الممصوص من فقر الدوم، أجلبتا عليه بالنار والحديد ونسيتا أنهما ظلتا ست سنين تحت حذاء هتلر، تطلبان من الله أن يسعفهما بالرحمة، ومن القانون أن يؤيدهما بالعدل، ومن العالم أن يرفدهما بالإحسان.

ولو كانتا من نوع الحيوان العاقل لاستفادتا من فعل القوة بهما، واتعظتا بجريرة الطغيان عليهما، وحرصتا على أن تكون هيئة الأمم المتحدة قوية لتأمنا في ظلها عودة النازية وسطوة الشيوعية، ولكنهما بعد أن نجتا من الموت المحقق لحكمة أرادها الله غلبت عليهما الغرائز الدنيا فاستطالتا على الله واستهانتا بالقانون وجلستا في مجلس

الأمن جلسة النخاسين في سوق الرقيق تساومان وتزايدان في حرية مصر وحقوق العرب، وهم الذين أمدوهما بالمؤونة والمعونة في سني المحنة حين انقطع رجاؤهما من النصر، وتوزعت حياتهما بين الخوف والفقر، فهل رأيت في تاريخ الإنسان كفرانًا كهذا الكفران، وعدوانًا شرًا من هذا العدوان؟.

مصر في ساحة الجهاد:

مصر المحروسة بعون الله تجيش نفوسها الأبية بالحمية لنفسها وبالغضب على عدوها جيشان البركان الثائر، تنتظر أن يطأ عدوها الدنس ثرى وطنها الطاهر فتتفجر عليه بالحمم والقذائف. وليست مصر هي التي ترضى بالهوان وتصبر على الخسف ودينها دين الجهاد وتاريخها تاريخ الفتوح وخلالها خلال الفتوة وأدبها أدب القوة وقصصها قصص البطولة !.

ألست ترى قذائف النار والدمار تتساقط على عواصمها آناء الليل والنهار، وهي صابرة صبر المؤمنين بالله، مطمئنة اطمئنان الواثق بالنصر، تغدو إلى حركتها وكأنها لا ترى، وتروح إلى سكينتها وكأنها لا تسمع، حتى إذا جد الجد وصمم القراصنة على أن دوا حياض المنون على سواحلها التي امتلأت بطونها الصفر بأجساد الغزاة، انقلبت سعيرًا من الشر يتأجج على المغيرين في الميدان وفي المدن والقرى والطرق والحقول، فيصبحون والأرض من تحتهم مجزرة، ثم يمسون وهي من فوقهم مقبرة !.

ذلك لأن جهادها المرير الطويل أورثها الصبر، والصبر أقوى الجيوش، ولأن دينها المتين القوي أكسبها الإيمان والإيمان أقوى الأسلحة. يصبر بنوها كما صبر أولو العزم من المجاهدين الأولين الذين حطموا القيصر في اليرموك وكسرى في القادسية ولم يبالوا بكثرة الروم ولا بقوة الفرس. ويؤمنون كما آمن أولو الدين من الفاتحين المتقين بأن الله زود المجاهد الصابر بقوة اثنين من عدوه ووعده إحدى الحسنيين: أما النصر الذي تعقبه العزة لله والحرية للوطن والكرامة للأمة، وإما الشهادة التي يعقبها البقاء في الدنيا بالذكر والخلود في الجنة بالروح.

ها هم أولاء ينقرون إلى القتال خفافًا وثقالاً ليلاقوا على القناة الإنجليز أحفاد ريتشارد الأول والفرنسيين أحفاد لويس التاسع، ويذكروهم بصواعق المدافع وبروق

الأسنة أنهم أحفاد الأبطال الذين سحقوهم في حطين ومحقوهم في المنصورة، وأن مصيرهم الذي كان هو لا محالة مصيرهم الذي سيكون !.

وشتان بين الصليبيين بالأمي وأبنائهم اليوم! جاءنا الصليبيون باسم الله ليأخذوا منا مفاتيح الأماكن المقدسة ليقدموها إلى البابا خليفة المسيح. وجاءنا المستعمرون باسم الشيطان ليأخذوا منا هذه المفاتيح ليقدموها إلى إسرائيل خليفة يهوذا !.

أضعف الإيمان:

قال الرسول الكريم صلوات الله عليه: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه؛ وهذا أضعف الإيمان".

ودول العالم اليوم وأممه، وفيهم المؤمنون بصاحب هذا الحديث يقنعون أمام المنكر الإنجليزي الفرنسي بأضعف الإيمان، فيطوون صدورهم على السخط، وقد يحركون ألسنتهم بالإنكار! ومن هؤلاء من يستطيعون دفع المنكر بالقوة، ولكنهم يتلكأون ويترددون لغرض أو مرض. وكفاحك المنكر بالقلب أو باللسان وأنت قادر على كفاحه باليد نقيصة من نقائص النفس البهيمية لا تخرج عن الجبن أو الخبث. على أن ضمائر الشعوب أحيا من ضمائر الدول. ومن المتوقع أن هذا الإنكار الشعبي باللسان سينتهي إلى إنكار دولي باليد. وحينئذ يطمئن محبو السلام والمدنية على أن الدنيا لا تزال بخير !.

أما العرب فهذه ساعتهم التي كانوا يرتقبونها ليثأروا لدماء شهدائهم من انجلترا الباغية وفرنسا البغي وإسرائيل الدعية، فإن العروبة لم يصبها من فظائع المغول والترك ما أصابها من هذه الأوبئة الثلاثة. ولعل من طلائع المعركة أنهم فجروا في أوروبا شرايين انجلترا وفرنسا يوم فجروا في الصحراء السورية أنابيب البترول !.

إن المعركة الناشبة اليوم بين الاستعمار ومصر معركة العرب جميعًا، إن كسبوها كسبوا عز الأبد. وهي كذلك معركة الأمم المتحدة، إن قدرت على خذلان الباطل عاشت منيعة الجانب مسموعة الكلمة.

واحد لثلاثة:

من المسرحيات التي تعجبني للشاعر الفرنسي كورني مسرحيته (هوراس) ومغزاها إيثار محبة الوطن على محبة الأسرة، وموضوعها انتصار روما على (ألب) في موقعة شعواء نشبت بين بني هوراس وبني كرياس. وذلك أن الرومانيين والألبيين رأوا حقنا للدماء أن يقصروا المعركة على ثلاثة أبطال من كلا الفريقين يكون فوز الثلاثة فوزًا لقومهم. واختار مجلس الشيوخ الروماني لهذه المعركة أبناء هوراس الثلاثة، كما اختارت مدينة ألب لها أبناء كرياس الثلاثة. وذهب الأبطال الستة إلى الميدان، وبرز الإخوة من الأسرتين بعضهم لبعض. ورأى من شهد بداية القتال أن اثنين من بني هوراس قد قتلا وأن ثالثهم قد فر. فتبادر القوم بإعلان هزيمة روما. واحتدم الشيخ هوراس غضبًا من جبن ولده. فلما قال له قائل: وماذا يصنع واحد أمام ثلاثة؟ قال له بشدة وحدة: يموت !.

ولكن رجلاً آخر شاهد نهاية المعركة يعود ويقول: استغفروا ربكم فقد ظلمتم بطل روما! إنه لما بقي وحده أمام بني كرياس الثلاثة وهم مجروحون وهو سليم رأى أنه أضعف منهم مجتمعين وأقوى عليهم منفردين، فعمد إلى الخديعة وأوهمهم أنه يفر، فطلبوه، حتى إذا انفرد كل عن الآخر كر عليهم واحدًا بعد واحد فقتلهم. وبذلك انكسرت ألب وانتصرت روما.